

دراسة حول سلطة الأبوة... النصّ والعلاقات النصّية عند العرب 1

تناص ينهض على مفاهيم ما بعد بنويّة ضمن البلاغة ولعبة الدالّ



كتب د. مصطفى بيومي عبدالسلام: اعتنى النقد العربي القديم عناية بالغة ودقيقة بفكرة العلاقات بين النصوص، وقدم توصيفات كثيرة ومتنوعة لهذه العلاقات؛ وبرز في النقد الغربي المعاصر في أواخر الستينات من القرن العشرين مفهوم جديد أطلق عليه النقاد مصطلح «التناص» يعني أيضاً بالعلاقات بين النصوص. فهل يعني ذلك أن النقد العربي القديم انرك من خلال بحثه فكرة العلاقات فكرة التناص أو أدرك جوهرها وإن لم يسمها أم لم يقتر بها؟

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذا السؤال، لكن يجب أن نؤكد في البداية على أن النقد العربي القديم هو جزء من التراث العام الذي أنتج في فترة تاريخية معينة وفي إطار شروط معرفية محددة، فهل يدفعا ذلك إلى الاعتقاد بأن النقد العربي القديم لم يمس هذه الفكرة التي برزت في نهاية ستينات القرن العشرين، وأنه كان بعيداً تماماً عنها، أم أننا سوف نحاول تأويل النصوص النقدية القديمة وإنطاقها بها لكي نبرهن عن أن النقد القديم فهم حقا فكرة التناص قبل أن تطرحها نظرية ما بعد البنوية بقرون؟

لن نقوم بهذا أو ذلك، بل نحاول أن نفهم جيدا الكيفية التي تأسس عليها فهم النقاد العرب القدماء للعلاقات بين النصوص، ومن ثم نتحقق من أن نقرر إن كانت تلك الكيفية يمكن أن تتطابق مع فكرة التناص قبل أن

لكن ينبغي أن نلتفت الانتباه إلى أن مفهوم التناص انبثق في ظل التحول الذي أصاب النظرية الأدبية والنقدية في نهاية الستينات من القرن العشرين، إذ تحول من النص المغلق إلى النص المفتوح، ومن ثبات المعنى إلى لعبة الدال، ومن استهلاك النص إلى إنتاجيته، ومن البحث عن سلسلة أنساب النصوص إلى البحث عن التبدد والتعثر والانفجار، بعبارة أخرى، هو تحول أفضى إلى التدمير مركزية الصوت والأصل والبنية واللوجوس.

إن التناص في عبارة موجزة يشير إلى عملية تحويل الإنساق والأنظمة إلى إنساق أو أنظمة جديدة تدمر الإنساق القديمة وتتجاوزها، إنه يتأسس على سميوطيقا الانتقاد أو انتقاد السميوطيقا، أي انتقاد المنجذبة والمعنى الثابت والمدلول المتعالي والعلامة المقسمة إلى دال (صوت) ومدلول (معنى)، بعبارة أخرى، إن التناص يتأسس على مفاهيم ما بعد البنوية ويستقل ضمن نطاق مفاهيم النص والبلاغة ولعبة الدال.

إن النص في تصورات ما بعد البنوية لم يصبح ذلك الكيان المحدد المسيح الذي يطوي على دلالة وحيدة ثابتة أو معنى متعال، إنما أصبح دالا يشير إلى سلسلة لا نهائية من الدوال، وهذا الدال في حالة من البحث الدائم المستمر عن مدلوله وإن وجوده، ولن يجده مطلقا. يتحول إلى دال جديد وسلسلة لانهاية من الآثار الخلاقية التي لا تكف عن توليد غيرها. فكرة التناص، لا تستمر إذن، إلى فكرة العلاقات النصية المحددة، فالتناص بوصفه استراتيجية تأويلية يفتح النص على آثار لانهاية، وتتم عملية تأويله ضمن إطار نص المجتمع والتاريخ

(الثقافة): وتجتهد كل قراءة في أن تفترض شبكة من العلاقات تتغير مع كل قراءة؛ لذا يختلف التناص عن نقد المصادر والتأثيرات، يصبح معنى هزيلا إذا استخدم بوصفه نوعا من نقد المصادر والتأثيرات. إن التناص، بعبارة موجزة، يدمر الأصل والمصدر الأبوة والنسب.

لا يعني في هذا السياق أن نقدم درسا تفصيليا لفكرة التناص في النقد الغربي، فهذا يمكن أن يكون موضوعا لدراسة لاحقة تعني بذلك، إنما الذي يعني أن نخصص فكرة العلاقات النصية في النقد العربي القديم، ومدى تجاوبها مع فكرة التناص، وسوف نعمل حتماً إلى فحص الدلالات القديمة لمفهوم النص في الثقافة العربية؛ إنه فحص يتوجه إلى بنية الثقافة نفسها التي يمكن أن تنتج مفهوماً مثل التناص أو غيره، وسوف نتبعنا المرجعية المعجمية اللغوية لكلمة النص على اكتشاف الدلالات المتوقعة لها التي يمكن أن تكون، أو هي بالفعل كذلك، دلالات مركزية في بنية الثقافة، فاللغة هي مركزها الدال عامة.

لم تفارق تلك الدلالات لمفهوم النص، على ما اعتقد، التصورات النقدية والبلاغية القديمة، بل ربما حرصت بطريقة أو بأخرى على تعويضها وتأكيداها. ما يدفعا إلى أن ننفي بطريقة قاطعة إمكان التناص في النقد العربي القديم والبلاغة القديمة.

لكن لا بد من الانتباه إلى أن ما رصده هذا النقد وتلك البلاغة من أشكال متنوعة للعلاقات بين النصوص لا يمكن أن يرتبط بفكرة التناص، إنما بمفهوم النص الذي يحرص على رد كل مصنوع إلى صانع. إنها (أي تلك العلاقات) تأكيد لفكرة أنساب

النصوص والأبوة التي تخلق معنى النص المحدد أو تبتكره.

تعارض فكرة التناص بطريقة جذرية مع فكرة ارتداد النص إلى صاحبه أو مؤلفه أو إلى مبتكره الأول. يقوم التناص بعملية تدمير لتلك الأبوة وشرعية النسب، مستبدلاً إيها بشرعية الدال فاقد أصله ونسبه. لا يحيل الدال على مدلول ثابت متعال، إنما يحيل على سلسلة لانهاية من الدوال، وتلك السلسلة تؤكد الطبيعة الخلاقية الإبداعية للكتابة التي تدمر الأصل والمركز.

كان النقد العربي القديم حريصا على فكرة الأبوة وشرعية النسب التي تخلق معنى مبتكرا مبتدعا للنص، وكان يحثه في علاقات النصوص أو العلاقات بين النصوص هو تأكيد هذه الفكرة.

لاعتقد أن النقاد والبلاغيين العرب القدماء دار في خلدكم تقديم استراتيجية قرينة أو تأويلية تعتمد على فكرة العلاقات بين النصوص، إنما اعتقد أنهم صنفوا ووصفوا النصوص ضمن استراتيجية أخرى هي البحث عن نقاء النصوص ونسبها إلى أصحابها، كانت تلك الاستراتيجية حريصة على أن «تبين عن حدود كل نص في علاقته بغيره بما يرد كل نص إلى صاحبه، بواسطة مجموعة من المصطلحات الوصفية التي تؤكد الملكية، وترد كل مجتزئ من المصنوع إلى صانعه الأصلي في جميع الأحوال».

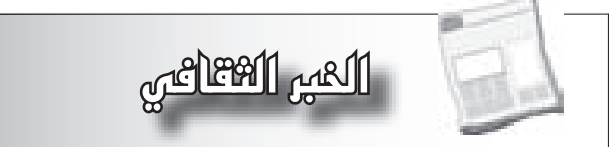
قد تصور أن الناقد أو البلاغي كان يتلقى البيت من الشعر فيعرضه على ذاكرته أو مذكرته المعرفي، فإن لم يجد ما يشبهه نعته بصفات الابتداء والاختراع والسبق إلى المعنى، أو بأنه أول في باب حاز فضل السبق والابتكار، وإن وجد ما يشبه هذا البيت

بدأ في عملية التصنيف وتوصيف العلاقة، فهذا الشاعر اقتبس كلمة أو آية من القرآن الكريم أو جملة من الحديث الشريف، أو ضمن معنى لشاعر آخر وأودعه في بيته، وإن وجد تطابقا بين بعض اللفظ أو بعض المعنى أو بتمام اللفظ والمعنى قدم اتهاماً مباشراً لهذا الشاعر بالسطو والسرقة، ثم يتحقق بعد ذلك في وصف درجة الأخذ والإفادة.

لايد من أن يبتكر الكاتب أو الشاعر ويبدع شيئاً جديداً، فقد أشار أبو حيان التوحيدي في «المقاييس»، إلى أن من أنشأ الكلام الأول كان صاحبه وهو بمثابة الأب له، ومن أراد أن يفترع كلاما لا بد من أن يستقل عن غيره، ولا يحتاج إلى شيء فيه من كلام غيره، ولذلك فإن: «كل مبتدئ شيئاً ففوة البدء فيه تفضي به إلى غاية ذلك الشيء». وكل متعقب أمراً قد بدأ به غيره، فإنه يتعقبه يفضي إلى حد ما بدأ به في تعقبه ويصير ذلك مبداله، ثم تتقطع المشاكلة بين المبتدئ وبين المتعقب».

إن الكاتب أو الشاعر هو صاحب الكلام وهو الأب له، وهو الذي يرتد إليه فعل الكلام، فيقود البدء يصل إلى غاية الشيء». ومن أراد أن يفترع كلاماً من الأصل لابد من أن يستغني عن الأصل ويصبح أصلاً جديداً لا يمكن أن يرتد إلى أصل سابق عليه، أو بعبارة أخرى: إن النص لا يمكن أن يرتد إلى نص آخر أو نصوص أخرى، إنما ينبغي أن يكتفي بنفسه قاطعاً ما يمكن أن يصله بنصوص أخرى، وانتماءه إلى صانعه الأول.

ربما كان النقاد والبلاغيون ينظرون إلى النص الذي يستدعي نصوصاً أخرى نظرة لا تخلو من الشك والريبة، وكان يوضع دوماً



كتاب وشعراء مصريون يدينون العدوان الصهيوني على غزة

دان أكثر من مئتي شاعر وكاتب وناقد وكاتب أكاديمي مصري «العدوان الصهيوني» على غزة، في خروج على موقف بعض الإعلاميين المصريين الذين أيدوا في برامجهم الهجوم على حماس في القطار؛ ويعد مطالبتهم «وقف الاعتداءات البربرية والعنصرية من الكيان الصهيوني على قطاع غزة»، أكد موقعه البيان على أن «القضية الفلسطينية في الأساس قضية عربية تتطلب توحيد الصفات الفلسطينية كافة صفاً واحداً»، كما شدوا على ضرورة «أن تكف الأجهزة الإعلامية المصرية والعربية والدولية التضامن مع شعبنا العربي في غزة والدفاع عن حقوقه المسلمة في فلسطين». ودان موقعه البيان «المواقف الخائنة للانظمة العربية والتراخي الذي يكاد يبلغ حد التآمر في اتخاذ مواقف مسؤولة مثل المواقف الرادعة والمشرفة التي اتخذتها دول أميركا اللاتينية الصديقة دعماً للمطالب المشروعة للشعب الفلسطيني».

بين موقعي البيان: الشعراء زين العابدين فؤاد وعبد المنعم رمضان وعلاء عبد الهادي وشعبان يوسف وإبراهيم عبد الفتاح، والروائيون أهداف سويف وإبراهيم عبد المجيد وفؤاد قنديل وبهيحة حسين وحجاج ادول وسعد القرش وحديد الطويلة. كما وقعه من الوسط الأكاديمي وزير الثقافة السابقان عماد أبو غازي وشاكر عبد الحميد، ونادر الفرجاني ومنى بيكر الهلالي وتحية خالد جمال عبد الناصر وهدي الصدة.

دان البيان «موقف مجلس الأمن المتراخي والموقف الغربي، وفي مقدمه الموقف الأميركي المشين الذي يلطخ تاريخ الشعب الأميركي ويلوث صفحات تاريخ الشعوب الأوروبية صاحبة الثورات العظيمة في التاريخ».

عرض للفيلم السوري «رؤية لصالح الدين»

عرضت نقابة المعلمين في جامعة البعث، بالتعاون مع النادي السينمائي في حمص، الفيلم السوري «رؤية لصالح الدين» من إخراج نجدة تازور، سيناريو وحول حسن د يوسف، في القاعة الحمراء في كلية الهندسة المدنية في الجامعة.

يقدم الفيلم أجوبة في تساؤلات كثيرة حملها الرأي الغربي حيال العرب وصرعات دارت على أرضه استنزفت خيراتهم ودماء شعوبهم وحولت بمهارات إعلامية ودبلوماسية وسياسية وغيرها إلى شكل ظالم يجافي الحقيقة.

يسير الممثلان، السينمائي والوثائقي في الفيلم توازياً مع حوار مفترض يجري بين شخصين أحدهما عربي والآخر غربي، إذ يبنى الشكل الفني على مصادره تعتمد العقل والحجة في الرأي، للوصول إلى الحقيقة والتصور الموضوعي لاضراحي الصراع بين الشرق والغرب، بدءاً من حروب الفرنجة والانتهاه واحتلال العراق وفلسطين.

يدعو الفيلم إلى استعادة القيم الإنسانية التي بنى عليها القائد صلاح الدين الأيوبي مفهومه الحضاري والفضالي، مثل العيش المشترك، وتقدير الآخر والارتقاء بالمفهوم المقدس للحياة الإنسانية، كحل نهائي لما وصفه بارمة حضارية تعبت عنها البشرية في القرن الحادي والعشرين، ولإحلال السلام العالمي على أساس هذه المنظومة المدججة من القيم السامية.

الفيلم موجه في المقام الأول إلى الجمهور الغربي الذي يرانا على نحو مغاير لحقائقنا، إذ يوجه رسالة إليه يدعوه من خلالها إلى الحوار بدلاً من التصادم على أرض الواقع، ويعتبر فيلماً تسجيلياً ذا لغة بصرية بليغة وراقية جدا ساهمت في إيصال مقولات وإن لم يجاهر بها سيناريو الفيلم الذي استخدم عددا كبيرا من المقابسات وترجم إلى ثلاث لغات عالمية هي الفرنسية والألمانية والإنجليزية.

النادي السينمائي في حمص جمعية أهلية تضم نخبة من جمهور الأدب والثقافة والفن في المحافظة، يقبع سنويا مهرجانات وتظاهرات للسينما العالمية، إضافة إلى عرض العالمية.

غياب الممثلة الأميركية لورين باكال

توفت الممثلة الأميركية المثيرة لورين باكال ذات الصوت الأضحى والتي سرقت قلب الممثل همفري بوجارت في الحياة وفي العديد من الأفلام، عن 89 عاماً. وأكدت أسرة بوجارت نيا الوفاة عبر «تويتر»، وقالت «بكل أسف وبكل امتنان للحياة العظيمة التي عاشتها تؤكد وفاة لورين باكال».

تزوجت باكال من بوجارت عام 1945 وتوفيته عام 1957، ولهما ولدان، وعرفها عشاقها باسم لورين وهو الاسم الذي أطلقه عليها المخرج هوارد هوكس، بينما كان الاصدقا بلقبونها سبريتي». لكن بوجارت كان يدلها «بيبي»، وعاشا قصة حب أنتجت سريعا بوفاته بالسرطان عام 1957.

ولدت باكال في 16 أيلول 1924 في نيويورك وكانت الابنة الوحيدة لوالدين مهاجرين ازاحتها التحقيقي بيتي جون بيرسك. بعد طلاق والدها والوالدين أصبحوا من اسم أسرة والدتها باكال اسمها لها، واتجهت لأن تصبح نجمة في بروداي وأدت أدواراً صغيرة على المسرح، كما أصبحت لفترة عارضة أزياء لمجلة «بازار»، التي نشرت لها صورة لفتت انتباه المخرج هوكس.

كانت باكال في التاسعة عشرة من عمرها حين قدمها هوكس في فيلمها الأول عام 1944 To Have and Have Not واحتلت مكانا في قلب هوليوود بجملتها المشهورة المثيرة حين كانت تداعب بوجارت وضمت شفتيها وقالت له في دلال: «أنت تعرف كيف تصفر ليس كذلك؟ ما عليك إلا أن تضم شفتيك هكذا وتزفر».

تزوجت باكال وبوجارت بعد ستة من إتهاء زواجه المضطرب بالممثلة مايو ميونوب، وأتيا معا بطول سلسلة من الأفلام مثل The Big Sleep (1946) و (1947) Dark Passage و (1948) key Largo بعد وفاة بوجارت عام 1957 في سن السابعة والخمسين عاشت باكال قصة حب معروفة مع الممثل والمغني المشهور فرانك سيناترا وتزوجت بعد ذلك لعنانة أعوام من الممثل جيسون روباردس وأنجبا ابنا.

معرض للآثار الفرعونية في اليابان

أعلنت وزارة الآثار المصرية الموافقة على طلب اليابان استضافة معرض يضم 124 قطعة أثرية فرعونية لمدة سنة، تحت رعاية الحكومة اليابانية بعد التاميين عليه بنحو 77.4 مليون دولار. والمعرض الذي توضح بعض قطعته جوانب من تفصيل الحياة اليومية في مصر القديمة يضم قطعاً نادرة للملك توت عنخ آمون الذي توفي نحو عام 1352 قبل الميلاد وكان دون الخامسة عشرة، بعدما حكم مصر تسع سنوات، وما زال موته لغزاً لم يحسمه المؤرخون.

يقول مدحود الدماطي، وزير الآثار في مصر، إن الوزارة التي «تضع ضوابط متشددة على تأمين القطع الأثرية أثناء التغليف والنقل وافقت على معرض «توت عنخ آمون والعصر الذهبي للفراعنة»، الذي سيقام في مدينتي طوكيو ونيغاتا مطلع أيلول المقبل حتى تشرين الأول 2015، موقعاً أن يبيع العائد المادي للمعرض نحو عشرة ملايين دولار، إضافة إلى مليوني دولار» لحساب مصر من كل تذكرة دخول، و10 في المئة من قيمة مبيعات النماذج الأثرية التي ستعرض على هامش المعرض الذي سيرافقه عالم آثار ومرمم لمتابعة نقله وآساليب عرض القطع.

«خرطوم الجن» لحسام الدين صالح... الصعود إلى المدينة عبر سلم القصة القصيرة جداً

مواضيعها بالوجودي» ويرى أن بعض قصصها «تحتاج إلى مزيد من السبك والعناية باللغة والأيانة».

رغم أن المجموعة القصصية يمكن أن تصنف حديثاً ضمن أدب القصة القصيرة جداً إلا أن غلاف الرواية لم يُشر إليها إلا على أساس أنها «قصص» فحسب، من دون الإشارة إلى أنها «قصص قصيرة جداً»، ربما ليخرج المؤلف من الجدال المحترم منذ ظهور القصة القصيرة جداً كجس أدبي جديد حول جوارته بهذه التسمية التي يراها البعض «ركيكة» مثلما يقول القاص السوداني بشري الفاضل، مشيراً إلى أن بعض النقاد مثل الدكتور العمارة والحاصفة»، ويضيف الكاتب: «ما زال خرطوم الجن يحوم في شوارع الخرطوم، وما زالت قصصه تعيش مع أبطالها ومع قارئها ومع كارثيها، يعيش سعيدا من دون أن يعكر على نفسه إلاجابة عن أسئلة الخروطين حول شخصيته الغريبة وغير المتكتمة وغير المفهومة وغير المنطقية».



أن «قصصها تتم عن حيوية دقيقة ونفس طويل في تصيد لحظات مثل هذا النوع من الكتابة، والقصص عناوينها لافتة وتتشبك

هنالك مماثلة تركها الفيلسوف الصيني لادو ترو منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وجاء قبله ويعدده طابور طويل من أهل الحكمة وأهل التدبر في الإنسان والحياة وما يتألف وما يختلف وما ينجلي وما يغفق».

يخاطب اسحق كتاب القصة القصيرة جداً من الشبان قتالا: «أظن أنكم في هذا العصر تواجهون جواً شبيها بتلك الأجواء، فانتهم تربعون في اختصاص التجزية وتسهيل ابتلاعها في أسرع وقت كي لا يفوتكم في الوقت المستعمل المتدفق عليكم شعور واختيار آخر».

أما الروائي والناقد السوداني د. مختار عجوية، صاحب كتاب «القصة الحديثة في السودان»، فيقول عن قصص حسام الدين صالح أنها: «عمل ممتاز وإحساس جميل وشكل جديد».

القاص والروائي السوداني د. بشري الفاضل الحائر جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي عن مجموعته «فوق سماه بندر»، يقول عن مجموعة «خرطوم الجن»

فارغاس يوسا منتدياً عن باث في ذكرى مؤبودة: «كان ناقدًا ثقافياً خارج المألوف»

كبيرة ويعبت الحياة لمرحلة ما بلغت مبهرة مثل هذا الكتاب الصادر عام 1982.». وأضاف فارغاس يوسا أمام مجموعة من الطلاب والأكاديميين والجمهور المحب لأشعار باث، أن هذا العمل الأدبي مفعم بالنثر والمعلومات التاريخية التي سمحت بإعادة الحياة الاستعمارية في المكسيك وغيرها من المستعمرات الإسبانية في أميركا اللاتينية، بغية وصف السياق الشعبي الخاص بالأيديولوجيا سورخوانا إينس ديلا كروت. وأن قراءة أبحاثه إثراء ودليل على قدرة الناقد الأدبي للذهاب أبعد من التفسيرات البسيطة عن الكاتب».

يذكر فارغاس يوسا أيضاً أنه كان قرأ للمرة الأولى لأوتافيو باث عام 1957 في ليما، عاصمة بيرو، ولاحقاً أعجب بديوان غاسيت (1883 - 1955).



أفضل الأعمال التي أصدرها في هذا المجال، ليس هناك في أميركا اللاتينية كتاب نقدي ذو أهمية ويعتبر كتابه «فخاخ الإيمان» من

يؤكد فارغاس يوسا (نوبل الآداب 2010) على أن الشاعر والكاتب المكسيكي أوتافيو باث لم يكن ناقدًا سياسياً فحسب، بل كان ناقدًا ثقافياً وأديباً عظيماً خارج المألوف، معتبراً أن النقد الفكري الذي مارسه الشاعر المكسيكي أوتافيو باث (1914 - 1998) في مجال الثقافة ساهم على نحو جلي في صيورتها وتحديثها، مثلما يبدو واضحاً في كتابه «فخاخ الإيمان». وأشار مؤلف «الكلاب والصدينة» خلال مشاركته في فعاليات الدورة الصيفية التي أقامتها جامعة كومبوليتنسي في مدريد تحت عنوان «مئة عام على ميلاد أوتافيو باث»، إلى أن كتاب الأديب المكسيكي عن سورخوانا إينس ديلا كروت (1651